العرب
الثلاثاء 2021/09/07
السنة 44 العدد 12172

السينما عين نبيل المالح الثالثة التي يدفعها الشغف والفكرة

مخرج سينمائي سوري وأحد رواد الثقافة العربية كرّس تجربته للهامشيين

حقق المخرج السينمائي السوري نبيل المالح الكثير من الإنجازات السينمائية وفق إجماع النقاد، فكان صاحب مدرسة خاصة في الفن السابع جمعت بين الشرق والغرب، خلد من خلالها اسمه قبل رحيله، لا كأحد رواد الفن السينمائي فحسب وإنما كفاعل ثقافي له تأثيره في أجيال متلاحقة عبر ما قدمه من رؤى وأفكار في أعماله التي تحفر عميقا في أديم الثقافة السورية والعربية منتصرة للهامشي والمغيب منها.

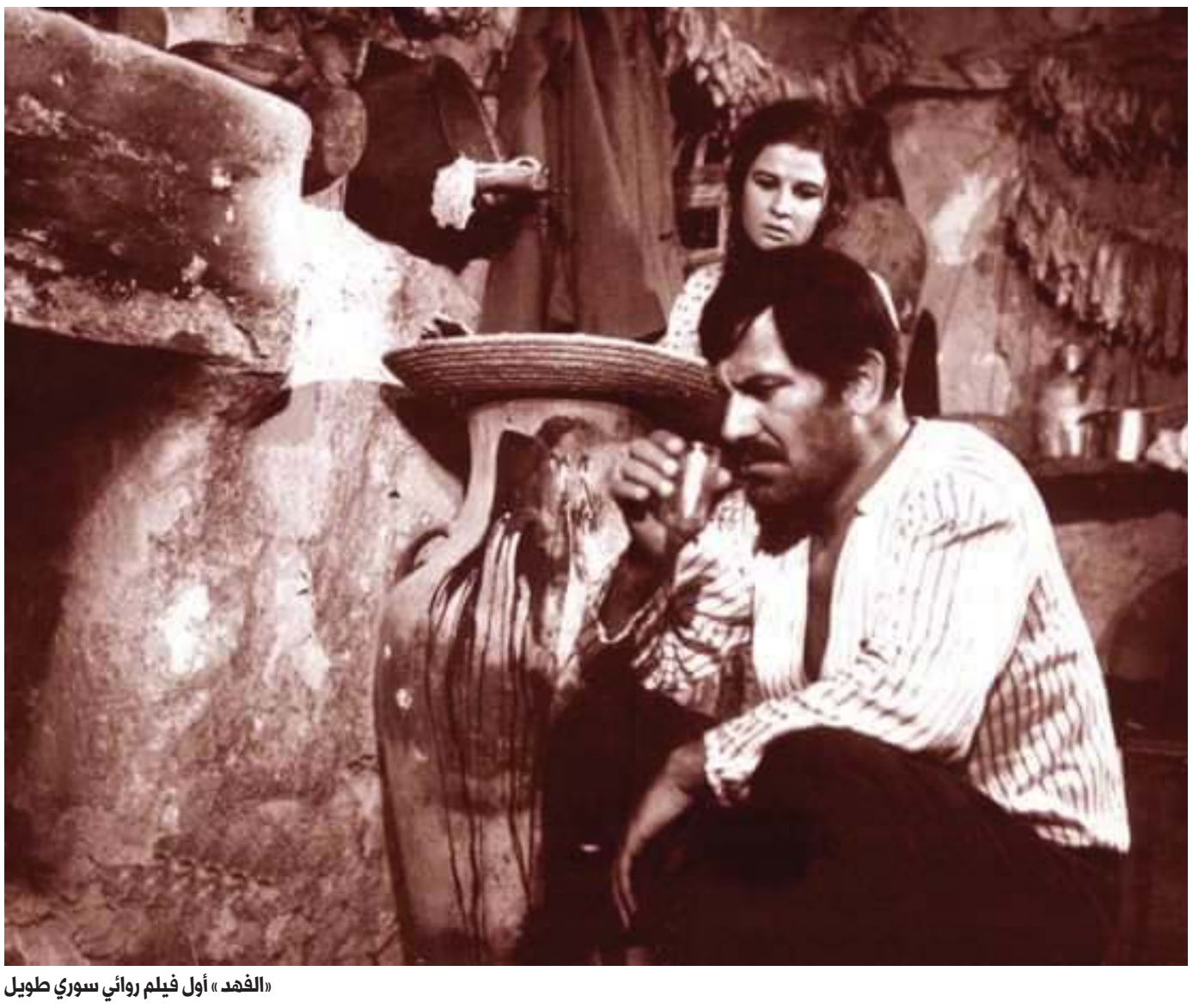

«الفهد» أول فيلم روائي سوري طويل

عبد العليم البناء
ناقد فني عراقي

بصمات المخرج السينمائي السوري الراحل نبيل المالح لن تغيب عن خارطة السينما العربية، فهو صاحب أكثر من 150 فيلماً بين روائي طويل وقصير ووثائقي، وصاحب أكثر من 60 جائزة عربية وعالمية، حصل عليها خلال اشتغاله في السينما لأكثر من 40 عاماً.

رائد سينمائي

برحيل المالح في فبراير من سنة 2016 خسرت السينما العربية عامة والسينما السورية خاصة إحدى أبرز قاماتها الإبداعية الرفيعة، لما انطوت عليه مدرسته السينمائية من سمات وخصائص منحازة إلى هموم الإنسان البسيط والهامشي وتوقه إلى التحرر والانعتاق.

> المدرسة السينمائية للمخرج الراحل انطوت على سمات وخصائص منحازة إلى هموم التواق إلى التحرّر والانعتاق

من باب الوفاء لهذا السينمائي قام صديقه ورفيق دربه الإبداعي المخرج السينمائي العراقي قيس الزبيدي بإصدار كتاب عنه حمل عنوان "نبيل المالح.. العين الثالثة" وبعنوان فرعي "شغف الإبداع السينمائي" ليضيء فيه مسيرة "مخرج سينمائي طليعي اختار على مدى عقود أن يضع، كما يقال، سينما عربية، وهي على مفترق طرق، على خارطة العالم". وأهداه إلى "عائلة نبيل المالح (فريال، ايبلا، زلفا، سميحة).

اختار الزبيدي المقال الشامل الذي كتبه الناقد الفلسطيني الراحل بشار إبراهيم عن المخرج السوري نبيل المالح كمدخل للكتاب، بعنوان "نبيل المالح رائد في الثقافة السورية الحديثة"، والذي قال فيه "سيكون من الظلم الاكتفاء بتناول سيرة نبيل المالح، بوصفه مخرجاً سينمائياً، على الرغم من أهمية ريادته السينمائية التي من الصعب على أحد تجاوزها، إذ لطالما نظرت إليه بعده واحداً من رواد الثقافة السورية الحديثة، ولعله الأكثر تمثيلاً لها، سواءً من ناحية التنوع والغنى والثراء الذي اتسمت به تجربته الإبداعية، أم من ناحية تشعبها وتشابكها مع الزمان والمكان، وتحولات العصر في السياسة والثقافة والاجتماع وفي العلوم والفنون والآداب والتقانة، ومواكبته لكل جديد ومستجد فيها".

ومن أجل تأكيد قناعته ورؤيته لهذا التنوع والغنى والريادة في مسيرة نبيل المالح المعطاء يرى بشار إبراهيم "أنه لم يكن من باب الصدفة (المصادفة) أن يكون نبيل المالح، المخرج الذي قدم أول فيلم سينمائي روائي طويل بتوقيع سوري (الفهد 1972)، هو ذاته المخرج الذي قدم أول فيلم سينمائي سوري روائي طويل مصور بكاميرا رقمية ديجيتال ("غراميات نجلا" 2001)".

ويستمر إبراهيم في سرد وتحليل وتشخيص مسيرة الرجل الذي رحل عن ثمانين عاماً كحال أغلب مبدعي البلاد العربية بعيداً عن وطنه.

شهادات ومسيرة

ضم الكتاب، الصادر عن دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع الأردنية، أربعة فصول. جاء الفصل الأول تحت عنوان "أفلام المخرج الروائية بعيون النقاد" وضم كتابات لأسماء مهمة في النقد السينمائي تناولت تجاربه ومسيرته السينمائية من زوايا عدة يتقدمها محمد رضا، الذي كتب عن "نبيل المالح بين آماله وآلامه، أحلامه وواقعيته في فيلمين مبهرين بأسلوبين مختلفين"، في حين كتب الناقد المصري أمير العمري محاوراً الراحل تحت عنوان "فيلم الكومبارس السياسة العربية في موعد غرامي"، وتوقفت الناقدة السورية رندة الرهونجي عند فيلم "الكومبارس" أيضاً، في حين توقف الناقد الأردني عدنان مدانات عند فيلمي "الفهد" و"الكومبارس"، وهكذا فعل زميله الناقد الأردني ناجح حسن حين أضاء فيلم "السيد التقدمي"، وكتبت إسراء الردايدة عن "كومبارس" بصفته "أحلاما منكسرة ولحظات حب مبتورة".

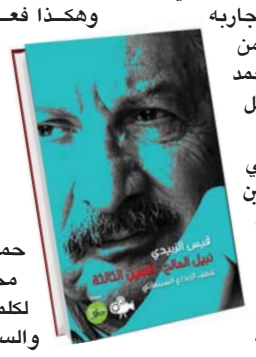

أما الفصل الثاني الذي حمل عنوان "الرحيل.. كتابات مختارة" فقد تم تكريسه لكلمات الرثاء التي كتبها النقاد والسينمائون العرب إثر رحيل المالح، أمثال: سمير فريد "في رثاء الراحل الكبير نبيل المالح .. السينما السورية تفقد رائدها"، وكمال رمزي الذي كتب "بصمات الراحل نبيل المالح لن تغيب عن خارطة السينما العربية"، وهوفيك حبشيان الذي جاءت كلمته بعنوان "مسيرة بحث وترحال"، ومحمد ملص الذي دون "فعلتها يا صديقي"، مع كلمات رثاء قصيرة لعدد آخر منهم لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً.

وخصص الزبيدي الفصل الثالث من كتابه لتناول نصوص المقابلات الرصينة والفكرية والثقافية التي أجراها المخرج الراحل مع عدد من الصحفايين المعنيين بالثقافة والفنون والسينما، وكشف فيها عن رؤاه وتصوراته وأحلامه ومشروعيه السينمائي والثقافي وكلاهما صنواه اللذان لا يفترقان.

ويتطرق الكتاب في رابع فصوله بعنوان "نبيل المالح نظرة إلى الحياة والسينما" إلى جوانب من رؤاه ومبادئه تجاه السينما والحياة، ليختتم بأربعة ملاحق شمل الأول "فيلموغرافيا الأفلام الروائية"، وتضمن الثاني "فيلم الفهد في مهرجان لوكارنو السينمائي"، وشمل الثالث "تكريم المخرج في مهرجان دبي السينمائي الدولي"، والرابع ملحق الصور التي مثلت معادلاً موضوعياً لمجالات إبداعية وثقتها الصورة الفوتوغرافية بشغف، ربما لا يعادل شغف الإبداع السينمائي للمبدع العربي الكبير نبيل المالح الذي كانت السينما العين الثالثة التي ظلت ترنو إلى الجميع لتخلد عطاءاته، والتي حرص على توثيقها زميله توأمه الإبداعي والوفي قيس الزبيدي.

جوني ديب يقدم فيلمه الجديد في فرنسا بعد ثلاث سنوات من «اختطافه»

دوفيل (فرنسا) – قدّم جوني ديب مساء الأحد في مهرجان دوفيل (غرب فرنسا) فيلم "سيتي أوف لايز" الذي يتطرّق إلى التحقيق في اغتيال مغني الراب نوتوريوس بي آي جي، وهو عمل "اختُطف طوال ثلاث سنوات" حسب قول الممثّل الأميركي.

وقال النجم الهوليوودي بفرنسية متعثّرة "إنه لشرف كبير لي أن أكون ضيفا هنا ونحن فخورون جدًا بالفيلم الذي اختُطف طوال ثلاث سنوات بسبب أناس في هوليوود. وطوال ثلاث سنوات كان الفيلم ميتا. وها نحن قد استعدناه".

ويمثل مجيء النجم العالمي جوني ديب (58 عاما) إلى هذه المدينة الشاطئية في نورماندي حدثا هاما لعشاق السينما. والتقى الممثل، الذي تواجه أخيرا مع صحيفة شعبية في نزاع قضائي على خلفية اتّهامه بممارسة عنف أسري، بجمهوره في أجواء تنبئ بإمكانية عودة الحركة السينمائية إلى ما كانت عليه قبل الجائحة قريبا.

ويؤدّي ديب إلى جانب فوريست ويتيكر دور شرطي أحيل إلى التقاعد رغما عنه. وصدر هذا العمل في شكل قرص فيديو رقمي.

ولم يجد هذا الشريط الطويل الذي قُدّم للمرّة الأولى في فرنسا الأحد وأُنتج سنة 2018 جهة تتكفل بتوزيعه في صالات السينما.

ويعود "سيتي أوف لايز" بالمُشاهد إلى التسعينات من القرن الماضي وقت مقتل اثنين من كبار مغني الراب الأميركيين، توباك ونوتوريوس بي آي جي، بالرصاص في ظلّ المنافسة المحتدمة بين الأوساط الموسيقية في الساحل الغربي والساحل الشرقي للولايات المتحدة.

ويغوص المحقّق راسل بول (جوني ديب) في تفاصيل تلك الحادثة بعد عشرين عاما على وقوعها إثر استعانة صحافي مدمن على الكحول (فوريست ويتيكر) بخدماته.

ويظهر "سيتي أوف ليز" –الذي قُدّم في دوفيل خارج إطار المسابقة الرسمية والذي يمزج بين مشاهد متخيّلة والبعض من صور الأرشيف– تحقيقا أنجز على عجالة من شرطة ينهشها الفساد تحت سطوة العصابات.

ويطرح الفيلم –وهو من إخراج براد فورمان– أسئلة أكثر مما يقدّم أجوبة بشأن ملابسات جريمة القتل في وقت لم يعثر فيه يوما على المذنبين في هذه القضية.

وقد افتتحت الدورة السابعة والأربعون من مهرجان دوفيل للسينما الأميركية في الثالث من سبتمبر، على أن تختتم أعمالها في الحادي عشر من الشهر نفسه مع لجنة تحكيم ترأسها شارلوت غانسبورغ.

وأوضح مدير المهرجان برونو بارد أن القائمين على الحدث أرادوا أن يعكسوا "التنوع" من خلال الأعمال التي اختيرت للمشاركة، بدءا بأفلام الاستوديوهات ومروراً بـ"الأعمال المستقلة التي تصنع المنافسة".

وحضر أيضاً ضمن فعاليات المهرجان أوليفر ستون مخرج الفيلم الوثائقي الذي يدور موضوعه حول أسرار اغتيال الرئيس الأميركي الأسبق جون كينيدي.

ويشهد المهرجان عروضاً أولى لثمانية أفلام من بينها اثنان ينافسان على الجائزة الكبرى للجنة الحكم الدولية في دوفيل مثل "ذي لاست صن" لتيم ساتن و"وي آر ليفينغ ثينغز" لأنتونيو تيبالدي.

ومن بين الأفلام الثلاثة عشر في المسابقة أيضاً هناك "بيغ" لمايكل سارنوسكي مع نيكولاس كيج، والذي وصفته صحيفة "واشنطن بوست" بأنه عمل "ذو جمالية وعمق هائلين".

وقد افتتح فيلم "ستيلووتر" الدورةَ السابعة والأربعين من مهرجان دوفيل بعدما عُرض في كان.

وخلافاً لما كان عليه الحال العام الماضي تستضيف صالات المهرجان الثلاث في هذه الدورة الجمهور دون حصر أعداده، وهو نبأ سارّ بالنسبة إلى إدوار فيليب رئيس الوزراء السابق ورئيس بلدية لو آفر حالياً الذي حضر حفل الافتتاح.

ومن أصل الأفلام المستقلّة الثلاثة عشر المتنافسة في دوفيل لبّى 12 طاقم فيلم الدعوة، ما يدل على أن الأميركيين الذين تغيّبوا بشكل شبه كامل العام الماضي "لا يخشون العودة إلى دوفيل"، حسب قول مدير المهرجان برونو بارد.

ومن المرتقب عرض 53 فيلماً في المجموع خلال الدورة السابعة والأربعين من مهرجان دوفيل للسينما الأميركية.

وللسنة الثانية يقدّم المهرجان أفلاما فرنسية لم تعرض في السابق. وسيحضر مثلا كلود لولوش مع مجموعة من النجوم لعرض "لامور سي ميو كو لا في" الذي قال عنه إنه فيلمه الأخير. ومن النجوم الآخرين المنتظر حضورهم كريستوف أونوريه وإيفان أتال.

ومن المرتقب الإعلان عن الفائزين في الحادي عشر من سبتمبر، وكانت الجائزة الكبرى العام الماضي من نصيب فيلم "ذي نيست".

المحقق المتقاعد شخصية جديدة لجوني ديب

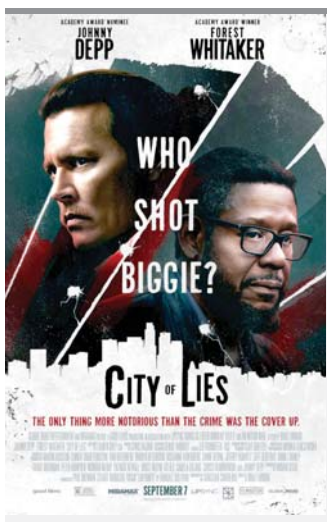

> الفيلم يطرح أسئلة أكثر مما يقدّم أجوبة بشأن ملابسات جريمة قتل مغني الراب دون العثور على المذنبين